البحث الثاني

الوضع الحالي والمستقبل المنظور

كان الصابئة المندائيون متمركزين في العراق وإيران وأغلبهم في العراق في مدن مثل بغداد والبصرة والعمارة والناصرية والفلوجة والرمادي وكركوك وأخيرًا أربيل والسلمانية... إذن هم منتشرين في طول العراق وعرضه، أما في إيران فحصرًا في منطقة عربستان.

بعد ثورة إيران الإسلامية وإلزام النساء الحجاب ومنع العرب من الكلام باللغة العربية، بدأت الهجرة من إيران إلى أستراليا على شكل أفراد وجماعات، وبعد أحداث ١٩٩١ بدأ الصابئة المندائيون العراقيون بالهجرة إلى أستراليا لأسباب ودوافع تطرقنا لها في الفصل الأول البحث الثاني (الهجرة)، ثم طوروها إلى كندا ودول أوروبا الغربية، وبعد الأحداث الجسام التي ضربت العراق في عام ٢٠٠٣ بسبب الغزو الأمريكي وما آلت إليه الأمور من خراب وتدمير البنية التحتية وغياب القانون، والتصفيات وكثرة السلب والنهب والقتل واستهداف الصاغة بنهب حلالهم وأموالهم، فسارعت هجرة الصابئة المندائيين واندفعوا على شكل أفراد وجماعات بترك العراق إلى البلدان المجاورة مثل سوريا والأردن، وآخرين عبروا إلى اليمن ومصر وليبيا وقطر والإمارات وغيرها، ومن هذه الدول تسللوا إلى بلدان المهجر، ومع مرور الوقت ازدادت الأعداد وشكلوا جاليات كبيرة في السويد وأستراليا وجاليات متوسطة في ألمانيا وانجلترا وأمريكا ونيوزلندا والنرويج والدنمارك وفرنسا وجاليات صغيرة في فنلندا وكندا وغيرها من دول أوروبا الغربية والشرقية، واستقروا في هذه البلدان وأسسوا فيها جمعيات مندائية ومراكز ثقافية ولهم إصدارات ومؤتمرات، فصلية وسنوية وأسسوا اتحاد الجمعيات المندائية في لندن، وجمعية المرأة المندائية والمجلس الصابئي المندائي في السويد وغيرها من المؤسسات

الرصينة والمعترف بها رسميًا. ولاحقًا تمَّ تأسيس المؤتمر المندائي العالمي الذي يضم عددًا محدودًا من الجمعيات أيضًا، وظل في العراق وإيران فترة لا بأس بها، وبقيت مؤسساتهم في العراق تعمل بجد ونشاط وتطوع قادة أكفاء لإدارتها، ودعمتهم الدولة والكتل السياسية النافذة طمعًا في أصواتهم وليحافظوا قدر الإمكان على ما تبقى من النسيج الاجتماعي للعراقيين الذين تعرضوا إلى أبشع ظلم عرفته الإنسانية عبر التاريخ، وحقيقة لأول مرة يتم ذكرهم في الدستور العراقي، ولأول مرة يرشح أحدهم إلى مجلس النواب وفق نظام الكوتا وكذلك عين منهم أكثر من سفير، ونسب أحدهم مدير للأوقاف يراعي مصالحهم ويتابع تعمير وصيانة المنادي (المعابد الدينية)، ومثل هذه الحقوق كانوا يستحقونها لتوفر الكفاءات لديهم، ولكن عندما يضيع الأمان بسبب غياب القانون وانتشار الفساد والرشوة يصبح لا قيمة لمثل هذه الامتيازات بظل الخوف والرعب وانعدام الخدمات وكثرة أعمال السلب والنهب والقتل وهضم حقوق الناس والطائفية البغيضة.

وتبوأ عدد كبير من الكتل السياسية الحالية لمسؤوليات كبيرة هم دونها بكثير، تصوروا وزير غير كفء وغير مقتدر وغير مختص، وخير دليل الطاقة الكهربائية، رغم مرور أربعة عشر سنة على بدء الغزو الأمريكي مازالت الكهرباء والخدمات معدومة، والعراقيون يعانون وكل عام تقول لهم الدولة ستتحسن الأمور في نهاية هذا العالم ولكن دون جدوى ودون بصيص أمل.

تصوروا بلاد تسمى منذ القدم بلاد ما بين النهرين أو وادي الرافدين وحاليًا الناس ماء الشرب عندهم شحيح وأهل البصرة يستوردون قناني ماء الشرب من الكويت، تصوروا من الكويت!، المفروض العراق تزودها بالمياه لوفرتها في دجلة والفرات وروافدهما وشط العرب. لكنها هذه الحقيقة المُرة التي لا يصدقها عاقل، ولكنك إذا زرت العراق أو سألت أحد العراقيين ستعرف الحقيقة. زرت بلدي العراق أربع مرات وفي كل مرة أعيش فيه أكثر من شهرين وأكتفي بأبناء شعبي من المندائيين لأتعرف على أحوالهم الحالية، فأرى التعب والإجهاد

وفي وجوههم وفي عيونهم، العائلة العراقية المندائية تمزقت وتشتت في بلدان المهجر ودول الانتظار والوطن الأم والذين يعيشون في الوطن الأم إما حبهم لوطنهم، أو خوفًا من المجهول أو عدم القدرة على السفر أو قسم منهم متمسكين بمحلاتهم المربحة وبيوتهم الفارهة وبعراقيتهم، ولكن يبقى الخوف هاجسهم، وأذكر قصة قديمة قرأتها أن أمير أراد أن يختبر ذكاء وزيره، فأمره أن يرعى خروف يملكه الأمير ويطعمه طعامًا جيدًا كل يوم دون أن يسمن الخروف، فربط الخروف في مرعى ووفر له الوزير أجود العشب وأحسنه ولكنه وضع قريبًا منه قفص فيه ذئب جائع يعوي من شدة الجوع، وتمر الأيام والخروف يأكل ولكن عينه على الذئب دون أن يسمن.

وهكذا فإن الصابئة المندائيين حالهم كحال إخوانهم العراقيين قد يأكلون ويشربون ولكن الخوف يلازمهم ويرعبهم، وقلة الخدمات لا بل انعدامها تنغص عليهم عيشتهم وغياب القانون وتفشي الفساد في مفاصل الدولة شيء لا يطاق ولا يحتمل، أما الذين يعيشون حاليًا في دول الانتظار وخاصة سوريا والأردن، فالانتظار قاتل، والمهربين على كثرتهم، ولكن أعمال النصب والاحتيال لها ابتكارات كثيرة ومتنوعة فهناك من ليس له قدرة مادية على السفر، خاصة إذا كانت عائلته كبيرة وإمكانيته المادية محدودة أو ضعيفة، وهناك المقتدر ولكنه يخاف النصب والاحتيال، وهناك من هو محتار في اتخاذ أي قرار، أيعود إلى وطنه رغم المحنة التي مازالت مستمرة وقد باع بيته وباع محل رزقه أو ترك عمله فأين يسكن وكيف يعيش.

أضف إلى ذلك متاعب الحياة الحالية من انعدام الخدمات وغلاء الأسعار والخوف من المجهول، وضع أمني متردي، فساد إداري خدمات معدومة لا كهرباء لا ماء لا نفط لا غاز، عبوات لاصقة وعبوات ناسفة ونقاط تفتيش لا تعد ولا تحصى، مناطق مغلقة وممرات مغلقة وشوارع مغلقة أينما تذهب تجد الحواجز الكونكريتية، لو استغلوها جميعها ربما تكفي لتكون سياجًا فاصلاً بين العراق وإيران.

لقد هاجر عدد كبير من العوائل المندائية إلى شمال العراق التي أصبح إخواننا الأكراد يسمونها (كردستان) طلبًا للأمان كملاذ آمن ضمن الوطن الأم، ولاقوا في بادئ الأمر صعوبات في السكن والإقامة ولكن الحكومة المحلية سهلت عليهم الأمور ومنحتهم امتيازات وأنشأوا مركزًا ثقافيًا ومجلس شؤون ينظم أمورهم تدعمه الحكومة المحلية في كردستان معنويًا وماديًا.

فحاليًا الصابئة المندائية في الوطن الأم متوزعون، الأغلبية في بغداد، وهناك أعداد في البصرة والعمارة والناصرية أغلبهم من أصحاب الدخل المحدود وأعداد في محافظة أربيل والسليمانية...

أما في سوريا فحدث ولا حرج... آلاف العوائل، بعضها في جرمانة ضاحية من أرياف دمشق العاصمة ينتظرون رحمة الأمم المتحدة، والمقتدرون ينتظرون رحمة المهربين، وعادة الزوج إذا وصل مثلاً لدولة مثل السويد يستطيع بعد حصوله على الإقامة أن يسحب زوجته وأولاده وبناته القُصَّر، وبهذا يخفف على نفسه نفقات المهرب، ولكن الأمر يحتاج إلى وقت لغرض حصول الزوج على الإقامة أولاً، وانتظار الموافقات على قبول عائلته، وهذه كلها تحكمها سلسلة من المشاكل والمعضلات التي يتطلب حلها صبر طويل.

وكذلك الحال للمندائيين الموجودين في الأردن وغيرها من دول الانتظار.

تمر الأيام حاليًا على العائلة المندائية ثقيلة محملة بهموم الغربة وهموم الفراق وهموم الانتظار وهموم التشتت، وهموم أخرى كثيرة منها اللغة والعادات والتقاليد والفلتان وعدم المقدرة على السيطرة على الأولاد والبنات.

الزوج إذا اختلف مع زوجته في أمر ما عليه أن يعالج الموضوع بحكمة وروية وألا يتعصب ويفقد أعصابه، فإن شكته زوجته إلى البوليس فهذه مشكلة المشاكل، تصوروا زوجة تدَّعي أن زوجها اغتصبها، يعاقب الزوج ويحجز، وإذا أم ضربت طفلها ضربًا خفيفًا لغرض تأديبه لأنه لا يسمع كلامها، وشوهدت هذه الأم من قبل الآخرين، وأخبروا البوليس فهذه مشكلة أخرى.

العراقيون بشكل عام يحبون عاداتهم وتقاليدهم ويحبون وطنهم وشعبهم ، والمندائيون مثلهم تمامًا متمسكين بالقيم والعادات التي تربوا عليها ويعشقونها ، ولا يمكن أن يبدلوها بعادات وتقاليد لا يحبوها ولا يريدوها.

وتبقى المشكلة قائمة للاندماج بالمجتمع الجديد ، وأعتقد أن الأوروبيين ومنهم السويديين والهولنديين مثلاً لا يعولون على جيلنا كثيرًا ، ولكن المهم عندهم الأجيال القادمة ، فهنا المدارس تهتم بالتربية مثل اهتمامهم بالتعليم ، فالأجيال القادمة ربما تنسى لغتها وتنسى عاداتها وتقاليدها وتتعلم قيم وتقاليد جديدة لغرض الاندماج بالمجتمع الجديد الذي اختاروه مكرهين.

أما عن المستقبل المنظور فتلك قصة أخرى لا نستطيع أن نلم بحجمها حاليًا ، فالصابئة المندائيون تشتتوا في بقاع الأرض ، لغات مختلفة وعادات وتقاليد مختلفة ، وثقافات مختلفة ، وقوانين جديدة ، وانفتاح على الحياة ومباهجها ، وما تعودنا عليه وما ربونا أهلنا عليه في بلادنا أنه عيب هنا مباح ، في بلادنا العائلة العراقية متماسكة متكاتفة ، رب الأسرة مسؤول عن العائلة ، هو الأول وهو الأخير مسؤول عن الصغار وعن الكبار ، مسؤول عن النساء والرجال ، بينما هنا في هذه البلدان إذا بلغ الولد أو البنت سن الرشد يستطيع أن يستقل بحياته حسب ما يرغب وحسب ما يشاء ، وإذا رغبت البنت بالزواج فمن حقها أن تختار زوجها كائن من يكون ، ولا يستطيع أحد أن يثنيها عن قرارها إلا بالإقناع.

وهذه معاناة يعاني منها كثير من العوائل وخاصة العوائل المندائية المغلقة على نفسها من آلاف السنين والتي لا تقبل الآخرين ولا تسمح لأولادها وبناتها من الزواج من الديانات السماوية الأخرى لأسباب ذكرناها في الفصل الثامن البحث الأول ، والفصل العاشر البحث الأول.

وما يقلق الباحث والمتتبع للصابئة المندائيين هو أنهم لا يتحدثون لغتهم المندائية وقد توزعت العائلة الواحدة على أكثر من بلد ؛ كيف سيتفاهم أحفادهم وبأي لغة

مشتركة، ولهذا تجد حاليًا الجمعيات سارعت لفتح مدارس لتعليم اللغة العربية واللغة المندائية واللغة الانجليزية ، وأنا أعول على اللغة العربية لأنها لغة المحادثة في البيت مع أهمية اللغة الانجليزية باعتبارها لغة حية عالمية.

وما يميِّز المندائيين العراقيين عن غيرهم من شرائح المجتمع العراقي أنهم كلهم متعلمون، لا يوجد أُميّ بينهم إلا ما ندر، وعادة المندائيون في العراق ودول المهجر يسألون باستمرار المندائيين المهاجرين عن أحوالهم وعن عيشتهم وعن كافة أمورهم، ويسألونهم عن الجليد وعن البرد وعن كل شيء، فمثلاً مندائي مثلي مقيم في السويد يجب أن يذكر الحقيقة، فيقول الحياة في السويد منظمة، والدولة ترعى الناس رعاية كاملة ، فتوفر للمهاجر المقيم السكن والراتب والتأمين الصحي والتعليم، وكل ما يحتاجه الإنسان في حياته، فالشقق مدفأة ومجهزة بالماء الحار والمطابخ مجهزة بكل شيء من ثلاجة ومجمدة وطباخ وكاونترات، يستغرب المرء أنه لم يخدم في هذا البلد، لا في الجيش ولا في الوظيفة كشخص مثلي متقاعد ، ولكني أتمتع بحقوق ما كنت أتمتع بها في وطني، رغم أنني خدمت بلدي بحدود أربعين عام متتالية، وقاتلت قتال الأبطال للدفاع عنها ، وعملت بجد ومثابرة وكفاءة، والنتيجة لا شيء، مجرد لاجئ مهاجر غريب عبارة عن رقم يسمونه الرقم الشخصي فيسألونك عن رقمك لا عن اسمك. نقول هذه بلدان ليس فيها ثروة نفطية هائلة مثل العراق، وليس فيها نهران عظيمان مثل دجلة والفرات، وليس فيها شمس ساطعة صيف وشتاء، فشتائهم طويل وثقيل، كل شيء في الشتاء تغطيه الثلوج، ومع كل هذا تجد الناس بخير في مأكلهم وملبسهم وسكنهم، بلادهم منظمة ونظيفة والقانون فوق الجميع، وسلطة مدنية تنتخب كل أربعة سنين، والانتخابات نزيهة.

المندائيون العراقيون يسمعون مثل هذا الكلام وربما أحسن منه، ويستغربون ويسألون أين تذهب أموال النفط؟ أين تذهب أموال الكبريت؟ أين تذهب أموال الشعب ؟ فلا مجيب، وعود... مجرد وعود كذب وافتراء على شعب بكامله والشعب يعرف أنهم يكذبون، تصوروا أيها السادة أن العالم في العشرين أو قل

في الثلاثين سنة الأخيرة تطور بقدر القرن العشرين وبقدر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والعراق تخلف في كل شيء مع الأسف الشديد ، كل شيء انحدر إلى الأسوأ بفعل فاعل، والضحية الشعب العراقي بكل شرائحه.

أذكر أنه حدثنا رجل في إحدى الديوانيات في النجف الأشرف طرفة فيها حكمة حيث قال : أيام زمان جمع الأمير الناس وقال لهم : من عنده مظلمة فليتقدم ويخبرني بها لأرفع الظلم عنه وأعينه على الحق والعدالة ، فانبرى من بين الجموع شاب يصيح بأعلى صوته يا مولاي أنا أستحق أن تساعدني... قال الأمير: إليَّ بهذا الشاب، وسأله الأمير ما خطبك يا رجل، فأجاب: مولاي أنا وزوجتي وست أطفال وأبي وأمي نعيش في زريبة من غرفة واحدة، لا تسعنا حتى للنوم، وأنا استغيث بمولاي أن يساعدني بالحصول على مكان أرحب من هذا، فأمر أن يسجل زبانية الأمير اسمه وعنوانه، وأن يساعدوه في وضع حل سريع لمشكلته... وبعد أيام قليلة جاء الزبانية بثلاث نعاج وطلبوا من الشاب أن يرعاها لأنها نعاج الأمير ، وأن تعيش معهم في نفس الغرفة ويعتني بأكلها وشربها ، وبعد بضعة أيام جاءوا له بست بطات وقالوا له هذه بطات الأمير اعتني بها ، وبعد بضعة أيام جاءوا له بعشر دجاجات وقالوا له هذه دجاجات الأمير ؛ عليك أن تراعيها وتعتني بها ، وأن تعيش في نفس الغرفة ، والشاب وعائلته لا مكان عندهم للنوم أو الجلوس أو الأكل والشرب أو أي نوع من الراحة.

وقبل أن ينتهي الشهر جاء الزبانية فأخذوا النعاج فتنفست عائلة الشاب الصعداء، ونظفوا الغرفة من مخلفات النعاج، وفي اليوم الثاني أخذوا منهم البط وفي اليوم الثالث أخذوا الدجاج فارتاحت عائلة الشاب وناموا هانئين، وفي بداية الشهر اجتمع الأمير ثانية بالناس ونادوا على الشاب وسأله الأمير عن أحواله، فأجاب الشاب كل شيء تمام يا مولاي .!

والمستقبل المنظور محفوف بالمخاطر وسط صراعات الكتل السياسية والطائفية البغيضة الاحتلال الأمريكي والتدخل الإيراني في شؤون البلاد، أما المستقبل المنظور للمندائيين فهم من جهة حالهم كحال أبناء شعبهم العراقي، ومن جهة أخرى هذه الهجرة التي شتتهم والآمال تبقى معقودة على تحسن الأوضاع في بلدنا العراق وقيام حكومة وطنية مدنية منتخبة انتخابًا حرًا مباشرًا، تمثل الأغلبية الساحقة يلتف حولها الشعب بكل شرائحه وأطيافه وقومياته، حكومة قوية يحترمها الجميع وتخدم الجميع.

هذا يتطلب ثورة شبابية على غرار ثورة تونس ومصر الشبابية، على أن تهيأ لها قيادات وطنية مقتدرة تنشئ دولة فتية متطورة تواكب فيها الدول المتحضرة، والعراق يمتلك كل المقومات الأساسية للنهوض لأنه شعب عريق صاحب حضارات عظيمة سجلها لهم التاريخ، ويمتلك ثروات هائلة، وأرض خصبة ومياه وفيرة ومناخ صالح للزراعة على مدار السنة، وشعبه يتمتع بحس وطني وذكاء موروث وقدرة على العطاء والتقدم.

وقت ما استقر العراق وتم بناء الدولة على أحسن الأسس وساد الأمان وعم الخير؛ سيعود العراقيون، كل العراقيين إلى وطنهم الأم، وهل هناك أحسن من العراق، ليس سوى عراق... فالشمس في بلادي أحسن من سواها كما يقول الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، والذي يشجعنا على ذلك حب العراقيون لوطنهم وأهلهم وعاداتهم وتقاليدهم، ويبقى هاجس أولادنا وبناتنا الذين اندمجوا بالمجتمعات الجديدة يقلق الجميع، ولهذا ندعو الله عز وجل ونطلب من شبابنا ونشجعهم على الثورة بالسرعة اللازمة على الظلم والفساد، وإيقاف هذا النزيف الذي أضعف البلاد والعباد، وعلى الشباب التيمن بقول الجواهري رحمه الله في قصيدته العصماء (أخي جعفر):

تَقَحَّمْ، لُعِنْتَ، أزيزَ الرِّصاص وَجَرِّبْ من الحظّ ما يُقتَسَمُ
وخُضْها كما خاضَها الأسبقون وَثِنْ بما افتتحَ الأقدمُ

فإمّـا إلـى حيـثُ تبـدو الحيـاة لِعينيْـــكَ مَكْرُمـــةً تُغْـــنَمُ
وإمّـا إلـى جَـدَثٍ لـم يكُـن ليفضُـــلَه بيتُـــكَ المُظلِـــمُ
يقولـون مَـن هـم أولاءِ الرِّعـاعُ فـأفهِمْهُمُ بـدَمٍ مَـنْ هُـمُ
وأفهِـمْ هُـمُ بـدمٍ أنّهـمْ عَبيـدُكَ إنْ تَـــدْعُهمْ يَخـــدُموا
وأنّـك أشـرفُ مـن خيـرهمْ وكعبُـك مِـن خـدهِ أكـرمُ

الشباب يكتفون بالدعاء وذكر الحي العظيم وتمجيده، دون إجراء الرشامة والبراخة (الوضوء والصلاة)، لكونها مطولة تحتاج إلى وقت طويل لا يتناسب مع متطلبات العصر، والمفروض برئاسة الطائفة ورجال الدين مجتمعين، ومؤسسات الطائفة تنتبه لهذه الأمور وتعطيها أهمية بالغة قبل فوات الأوان وقبل أن يتخذ الشاب قرارهم.

وهذا الأمر ينطبق تمامًا على المندائيين والمندائيات المتزوجين من ديانات أخرى، والذين يزداد عددهم مع الوقت وخاصة بعد الهجرة الواسعة، على رجال الدين أن يعلموا أن العالم يتطور بسرعة فائقة، وأن الفضائيات على كثرتها والإنترنت لم يبقيا شيئًا مضمومًا أو معرفة محتكرة أو معلومة لا يعرفها الجميع. وعليهم أن يعرفوا أن المستقبل للشباب والقيادة للشباب، والتطور والتجديد يصنعه الشباب شاءوا أم أبوا رجال الدين وغيرهم من المتزمتين، ولربما سيأتي يوم تجد فيه عدد من رجال الدين الشباب قد تنورت عقولهم وفهموا الفكر المندائي فهمًا متطورًا وساهموا مع الشباب في عملية التطور والتجديد التي لابد منها، والتي ستحدث عاجلاً وليس آجلاً.

وبحساب بسيط تجد عشرات الشباب والشابات تزوجوا من ديانات أخرى، وسيصبح هؤلاء بعد زمن مئات ثم ألوف، ومن يستطيع إيقاف هذا الزحف، إذن لابد من حلول عقلانية يقتنع بها الأغلبية، ولابد من قرار شجاع لأن المستقبل محسوم للشباب، وهم وحدهم سيفرضون قرارهم المنطقي المعقول.

وثمة مشكلة عويصة عند الصابئة المندائيين يرفضها الشباب وخاصة الشابات، حيث تنص التعاليم والعادات والتقاليد على فحص الفتاة قبل إجراء مراسيم المهر لها من قبل زوجات وأمهات رجال الدين يقمن بهذا الفحص للتأكد من بكارة الفتاة.

لأن للفتاة البكر عند زواجها طقوس وللثيب طقوس أخرى، ورجال دين آخرين، حصل بعض التطور بإشراك طبيبات أخصائيات بالنساء لإجراء مثل هذا الفحص، ولكن رجل الدين بقى يسمع كلام زوجته أو أمه أو امرأة يثق بها... وبهذه الحالة على الطبيبات أولاً إقناع تلك المرأة لتقنع رجل الدين بعذرية الفتاة، لأنه لو حصل خطأ يتحمل وزره رجل الدين، ولابد أن تجرى له مراسيم دينية معقدة ليعود لممارسة مهامه الدينية.

مثل هذه الأمور وغيرها يرفضها الكثير من الشباب وخاصة المثقفين، وحاليًا المهاجرين، والفتيات يعتبرن ذلك إهانة لهن، ويرفضن ذلك بشكل قاطع لأنه يدل على عدم الثقة، ولذلك تجد الأم المندائية مهتمة بهذا الأمر غاية الاهتمام، وعندما تتأهل ابنتها للزواج، وفي مرحلة الخطبة تتأكد بشكل قاطع أن ابنتها عذراء، سواء ثقتها بكلام ابنتها أو بالفحص، ولله في خلقه شؤون، وهذا الأمر يعرفه الجميع ورجال الدين متمسكين به والكثير يؤيدونهم، ونبقى نقول كل شيء يتطور في المستقبل المنظور والشباب قادة المستقبل.

بينما نجد المسيحيين قد طوروا شعيرة التعميد تطورًا كبيرًا فتجاوزوا التعميد بالتغطيس بالماء الجاري إلى رش قطرات من الماء من قبل رجل الدين، بينما بقي رجال ديننا من زمن آدم ولغاية هذا الوقت يمارسون نفس الطقوس.

وثانيًا: لوضع حلول مقبولة لهذا الأمر يتطلب الأمر تطويرًا وتجديدًا، وقد تمَّ مناقشة موضوع التطوير وكان هناك جملة مقترحات منها: رسالة بعث بها أحد المثقفين المندائيين المهاجرين من الدنمارك إلى مجلس شؤون الطائفة في بغداد يطلب بها تشذيب الطقوس والشعائر الدينية.

ومن جملة مقترحاته : نحن في أوروبا مثلاً نعاني من أمور كثيرة ، نطلب إلغاءها مثل عندما يجري رجل الدين المهر للعروسين ، لماذا في النهر وليس في الحوض ؟ ولماذا بيت القصب (الأندرونا) ؟ لماذا لا يكون من الخشب أو الخيزران ؟ ومن أين يأتي رجل الدين بمشط مصنوع من الخشب ، ومن أين يأتي رجل الدين بصابونة رقي ؟ ومن أين نأتي بالشربات (التنك) لنكسرها عند إعلان المهر ، ومثل هذه الأسئلة الشيء الكثير.

وكان الجواب بعضه مقنع وبعضه غير مقنع ، وخاصة للشباب ، والمشكلة لا أحد يستطيع أن يفتي ولا أحد لديه الشجاعة أن يطور ، لأن الكثيرون لا يفهمون الفكر المندائي ، وإنما يعرفون هذه الأمور وتعودوا عليها وأنها شعائر وممارسات مقدسة لا يجوز تشذيبها أو إلغائها.

أما عن التجديد فمن الصعوبة البالغة لأحد مهما كانت مكانته أو منزلته الدينية أن يجدد ، وأذكر مرة طلب مجلس الشؤون من الريشما عبد الله أن يشرب رجال الدين الماء من الحنفية بدل النهر ، لأن ماء النهر أصبح غير صحي ، وقلنا له تجمع كل رجال الدين في المندي وتشرب أمامهم ماء الحنفية الصحي ، فأجاب قائلاً هم كلهم يشربون قبلي وأنا أشرب أخر رجل دين ، لكي لا يقولوا رئيس الطائفة ابتدع هذه البدعة وغير التعاليم... وقيسوا على ذلك الأمور الأخرى ، ومنها مثلاً بعد الوفاة يجب أن يلف الجسد بشريحة محاكة من القصب والبردي وحبال مصنوعة من أوراق سعف النخيل والأعواد من سعف النخيل ، ويكون هذا كله غير متوفر في معظم بلدان المهجر ، اضطر الناس هناك لاستخدام التابوت مثلاً ، وهكذا الأمر بنسبة لأمور كثيرة في الحياة اليومية وفي التعميد وفي الزواج وفي كثير من الطقوس الدينية.

وهنا نتساءل هل من حلول تلوح في الأفق... نقول نعم... لأن الشباب يصنع المستقبل وليس العقول القديمة ، لقد انتشر الشباب المندائي في طول المعمورة وعرضها ، وتزوج أعداد كثيرة منهم من ديانات أخرى وتعلموا لغات أخرى

وعادات وتقاليد أخرى وهذا التوسع يصعب السيطرة عليه خاصة إذا عرفنا أن الشباب المندائيين تزداد قوتهم وقدرتهم، وأن قوتهم وقدرتهم ومعرفتهم حتى بأمور الدين يومًا بعد يوم وسنصل إلى مرحلة الانفجار الحتمي الذي يقوده الشباب ويقومون بالتطوير والتجديد، تصوروا أن الصلاة تحتاج من الجهد والوقت الشيء الكثير، وبحسابات العصر الحديث لا مجال عند الشباب لإقامة الصلاة ثلاث مرات في اليوم، لا بل مرة واحدة، ولهذا معظم الصابئة المندائيين يجدون صعوبة في أداء مراسيم الصلاة.